قبل البدء...
عددٌ عاشر.. ومرحلةٌ عاشرة

أ. محمد أحمد جهلان (*)
- لجنة التحرير -

هذه تسعُ سنواتٍ طُويت منذ أن صدر العدد الأوَّل من هذه المجلَّة المباركة، تسعُ سنوات حملت فيها راية الفكر المستنير، وانبرى كتَّابها الأوفياء لإعلاء كلمة الحق، وتبليغ العلم الرفيع، ونشر الفن البديع.

ونحن على عتبات العدد العاشر وهذه السنة العاشرة، نستوقف التاريخ نسائله عن مؤسسي هذه المجلة، ونستلهم العبر من مآثرهم، ونستشفُّ الفِكَر من تضحياتهم وخالص جهادهم.

فالمجلة بالنسبة لمؤسسة "معهد الحياة" ـ كما أقرَّ الأديب الدكتور صالح الخرفي (رحمه الله) ـ «هي ذاكرة أمجادها على مرِّ الزمن وعبر الأجيال، ومرصد وقائعها وأحداثها، الناس يغدُون ويروحون وذاكرة المرء إلى نضوب، ويبقى ما يرصُدُ الكتَّابُ، أو تُسجِّلُه المجلَّة همزة وصلٍ بين الغادي والرائح».

صدقتَ ـ والله ـ يا صالحنا، فقد مضيتَ إلى بارئك بعد سنة واحدة من خطابك هذا في العدد الأوَّل من "الحياة"، وبقي ذكرُك الصالحُ صلاحَ أعمالِكَ ونَفْعَ تآليفِكَ وكتاباتِكَ،

(*)-قسم اللغة العربية وآدابها، المركز الجامعي، غرداية.

كما بقي حرصُك على أن تكون افتتاحية العدد الثاني من المجلَّة بقلم شيخك وأستاذك الشيخ عدُّون (رحمه الله) فكان ذلك، وكتب متواضعًا كعادة العظماء أمثالكما: «أبى إلاَّ أن تكون الافتتاحيةُ لهذا العاجز البالغ من الكِبر عتيًّا، والذي أثقلت كاهِلَه التسعونُ وتوابعُها، وبينه وبين أن يطرق باب المائة خطواتٌ قلائل، إن أمهله الأجل، وإن كان ـ والحمد لله ـ لم يسأم تكاليف الحياة كما سئمها صاحب الثمانين . . .»

هكذا ياشيخنا عدُّون افتتحتَ العدد الثاني من "الحياة" . . فلم يكن موضوع «**معهد الحياة ورسالتُه**» كغيم المعرِّي كما قلتَ متواضعًا:

والمَرءُ إنْ لم تُفِدْ نَفْعًا إقَامَتُهُ
غَيمٌ حَوى الشَّمسَ لَم يُمطِر وَلَم يَسِرِ

بل كان غيثاً نافعاً، وسحابة رشيديَّة العطاء، أمطرت وما تزال خراجُها يُثقِل صحيفة أعمالك من مشرق الأرض ومغربها. وظللت حانيا على هذه المجلة راعيًا لها رعاية الأب المربي لولده. . يُسعِدُك صدورُ العدد منها كلَّ فِطْرٍ سعادةَ الأطفال بالجديد يوم العيد، فتسارع إلى تصفُّح فهرس بحوثها، فلا يشفي غليلك إلاَّ قراءتُها إلى آخرها، وهي لمَّا تصلْ بعدُ أيادي كثير من القراء، كما كان يؤرِّقك تأخُّر الكتَّاب أو تقاعُسُهم عن الكتابة فيها، فلا تنفكُّ تحرِّض أبناء "معهد الحياة" وأساتذته للاهتمام بها والإعلاء من شأنها.

نعم يا شيخنا؛ فلا يَقْدُرُ عظمة الأمانة حقَّ قدرها، وثِقَلَ مسؤولية بقاء هذه المجلة إلاَّ من عرف قيمتها، ونُبلَ رسالتِها، وسموَّ مطمحِها. . . فقد كنتَ كذلك حريصًا على سالفتها «**جريدة الشباب**» قبل سبعة عقود، وأنت الذي كتبت حامدًا لله في افتتاحية

العدد الأوّل من المرحلة العاشرة سنة 1936 بلسان عربي فصيح وأسلوب أدبي رفيع: «ونحن إذا انتصبنا لنشكر الله على ما أولانا من نعمة الاهتداء إلى إنشاء جريدتنا "الشباب" استنفذنا كلَّ جهدٍ دون أن نحصل على أدنى مَرَام؛ وإذا تذكَّرنا ما رَزَقَنا من التأييد على الاستمرار على إصدارها، وعلى القيام بما يقتضيه هذا الإصدارُ من جهودٍ وأتعاب، اتَّسع أمامَنا أفُقُ الحمد والشكر...

نعمةٌ جَلَّت علَى الوَصفِ كَمَا

أنَّها جَلَّتْ عَلَى أَن تُشكَرَا».

وأستسمحُك يا شيخنا أن أنقل إلى قارئ اليوم رجاءك حينها متفائلا بمستقبل واعد بتطور الجريدة ورقيّها إلى مصافّ الصحف الكبرى، لتضاهيَ مثيلاتها المطبوعة في شمال إفريقيا!، ومحرِّضًا الكتاب على إثرائها والاستمرار في رعايتها، فكنت تقول: «على الكتاب أن يحقّقوا ظننا فيهم باستفراغ جهدهم في خدمة أنفسهم بخدمة هذه الجريدة... فنمدُّ أيدينا لرفع مستوى هذا المشروع الجليل، إلى سماء لا تطاولها سماء، وما ذلك على الله بعزيز».

عزيزي القارئ، تذكَّر أنَّ الشيخ عدُّون (رحمه الله) قد قال هذا الكلام قبل سبعين سنة كاملة، وبالضبط في العدد الأول من السنة العاشرة لجريدة «الشباب» الصادر بتاريخ 23 أفريل 1936... (انظر صورته في آخر هذا المقال)؛ فعزيمته الراسخة وحرصه على استمرار صدور «الحياة» هو الحرص نفسه على استمرار صدور «الشباب» قبل سبعة عقود، فهل اعتبر الشباب بأهمية الثبات على المبدأ بعد الاقتناع بنُبل الفكرة والإيمان بها؟، وهل انتفت المسؤولية المنوطةُ بنا نحن كتّاب

اليوم تجاه هذه المجلة المباركة أم أنّها غدت أثقل وأوكد؟ .

فارقَتَنَا يا شيخنا "عدُّون" ، وخلَّفت بإذن الله رجالا على المحجَّة البيضاء ، يحملون الراية، ويرفعون لواء التغيير وخدمة الأمَّة، واعلم بأنَّك تركت كتيبة علَّمتها أن تهب نفسَها للعلم ، في عصر وهب الناس فيه أنفُسَهم للمال ، وتيقَّن بأن مِن خَلفِكَ جيل وأجيال ، أنشأتها لتكون من حزب الله ، في وقت يتربَّص بها الغربُ ليضُمَّها إلى حزب الشيطان . . .

وقبل سنةٍ فارقنا أحدُ أقطاب هذه المجلة وسالِفَتها «الشباب» ، فارَقَنا الشيخ الأديب حمو بن عمر فخار والرفيق الأعلى اختار، بعد أن رصَّع - في شبابه - صفحات «الشباب» بأروع المقالات، ولم تكن افتتاحية للعدد الأول من هذه المجلة سنة 1998 ، إلاَّ لؤلؤة العقد ، أدبًا رائقًا ، وتاريخًا شيِّقًا ، مُعبِّرًا عن حنكة الحكيم الذي عرك الحياة وعركته ، فتخطَّى العقبات ، واستخلص العبر من النكسات والنكبات ، عزمًا جديدًا متجددًا ، متمثلاً قول الشاعر:

لاَ تَحْسَبِ المجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكِلُهُ
لَن تَبلُغَ المجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرَا

فارقتنا قبل سنة تاركًا وصيتك الغالية لأبنائك الكتاب ، بنصرة لغة القرآن وذَود الأعداء عنها ، قلت حينها : «واعشقوا يا رجال الغد لغتكم عشق المجنون ليلاه ، وارفعوا بها عقيرتكم في اعتزاز كما رفعها في بَيْدَاه ، (...) وفجِّروا يا مسلمين ينابيع لغتكم تفجير عدُوِّكُم فرنسا قنبلتها الذرية في أرضكم . وبدون ذلك لن يسلم دينُكُم - والله - ولا لسانكُم» .

ثق يا شيخنا أن «الحياة» تقف اليوم مرابطة في هذا الثغر، وهي على عهدكم وعهد سلفكم الشيخ عدُّون

والشيخ بيُّوض ما استطاعت، وكُتّابها وإن اختلفت مشاربُهم وانتماءاتهم فغايتهم واحدة واضحة وضوح المنهج والسبيل الذي رسمتم، حريصون على هذا الكنز الثمين، ممتثلون لقولك: «ألا فلتكونوا بمجلتكم يا خلفاءنا على الميراث الثمين بالمرصاد للهادمين، أوفياء للغة رب العالمين، ورسول خير المرسلين؛ وإلاَّ تكونوا فلا كنتم ولا كنَّا ـ لا قدَّر الله ـ».

عزيزي القارئ، هذه وقفة فرضتها مناسبة العدد العاشر «للحياة»، أردنا أن نطرزها بِدُرر من العدد الأول من السنة العاشرة «للشباب» "حتى لا يظن المتأخر أنه نَبَتَ كالكمأة في الأرض لا جذور له يستمد منها الغذاء والنماء".. ووقفنا مع ثلاثة رجال كانوا دعائم لهذا المشروع العظيم، "الدكتور صالح الخريفي"، و"الشيخ عدُّون"، و"الشيخ حمو فخار".

وإذا كنَّا قد عقدنا للأول ملتقى درسنا فيه بعضا من أدبه وتاريخه، كما أقمنا للأخير في هذه الصائفة مهرجانا يستعرض بعضًا من محطَّات جهاده وكفاحه، فإنَّنا ـ في هذا العدد الذي نرجوه ممتازًا ـ نرى في عقدِ فصلٍ حول الشيخ عدُّون جُهدَ المُقِلِّ وأضعفَ الإيمان، متفائلين بأنَّ الله سيوفِّق الخلف لما هو أنسب بمقام الشيخ ومرتبته العالية، متبلِّغين بقول الشاعر:

تَفَاءَلْ بِمَا تَهوَى يَكُن، فَلَقَلَّمَا
يُقَالُ لِشيءٍ كَانَ إلاَّ تَكَوَّنَا

عزيزي القارئ، هذه كلماتٌ مبعثرة أوحت بها المناسبة، فاسأل الله معنا أن يرحم مشايخنا وعلماءنا، ويغفر لنا زلاتِنا وأخطاءَنا، إنَّه سميع مجيب.

﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ صدق الله العظيم

صورة الصفحة الأولى من افتتاحية الشيخ عدُّون (رحمه الله)

للعدد الأول الممتاز من السنة العاشرة لـ "جريدة الشباب"

صادر ـ كما هو مبين من تاريخه ـ يوم الخميس : 30 محرم 1355هـ/ 23 أفريل 1936

(٢)

السنة العاشرة — العدد الممتاز — ٢٤٠ عدد

بسم الله مجراها و مرساها

الله ربي الغفور رحيم

قرآن كريم

المدير الشيخ عدون

المحرر مسعود بن عبد الله

شباب قنع لا خير فيهم • وبورك في الشباب الطامحين

الشباب

نشرة علمية ادبية اجتماعية انتقادية تصدرها نخبة من الشبيبة المتعلمة صبيحة يوم الخميس من كل اسبوع

محتويات هذا العدد

انظر الفهرسة في الصفحة الصفحة الاخيرة ٢٨

يوم الخميس ٣٠ محرم سنة ١٣٥٥ — الموافق ليوم ٢٣ افريل سنة ١٩٣٦

الشباب في المرحلة العاشرة

الحمد لك اللهم — يا من اسبغت علينا من نعمك مطارف ، واوضحت علينا من انوارك معارف ؛ فزففنا في حلبها مغتبطين ، وخطرنا في ضياءها مستبصرين

ونصلي ونسلم على افضل نبيء عززته بالحكمة وفصل الخطاب ، وايدته بافصح لسان واعز كتاب ؛ فبعثه بها بلاغا وحدورا ، وملأ بهما علما ونورا .

وعلى آله واصحابه الذين جاهدوا في سبيل اعلاء كلمة الله شيبا وشبابا ، واستفصوا كتاب المحامد والمكارم بابا بابا ؛ ما اعتز علم ، واهتز قلم .

اما بعد — فان من اجل النعم التي يفيضها الله على الانسان نعمة الهداية والتوفيق ، واعظم نعمة منها واغزرها ان يستمر موفقا الى السير في سواء الطريق .

ونحن — اذا انتصبنا لنشكر الله على ما اولانا من نعمة الاهتداء الى انشاء جريدتنا «الشباب» — استبعدنا الجهد دون ان نحصل على ادنى مرام ؛ واذا تذكرنا ما رزقنا من التأييد على الاستمرار على اصدارها ، وعلى القيام بما يقتضيه هذا الاصدار من جهود واتساع امامنا ابعد الحمد والشكر ، وادى بنا الايمان الخوض في خضمها — الى الخضوع والاستسلام — نعمة جلت على الوصف كما .·. انها جلت على ان تشكر

الشباب بين المرحلتين :

فها هو ذا شبابنا الزاهر — بعد ان قطع تسع مراحل من حياته — معرسا بين المرحلة التاسعة والمرحلة العاشرة — املا ما يكون ابتهاجا واعتبالجا ، واقوى ما توثبا ونشاطا ؛ ملتفتا الى ماضي حياته يستعرض الادوار التي مرت عليه ، ويستنطق الاعمال التي قدمت بين يديه ؛ مستشرفا الى مستقبل امامه ليستعد لما سيحمل فيها من اعباء ، ويتبعها لما سيعرض له من امور معتبرا بما عبر ، مستفيدا مما غبر ؛ متهيأ لأن يستقبله بكل فلاح ؛ آملا ان يلف في جوه المعالي بغير جناح .

التفاتة الى ماضيه :

قطع تسع مراحل بحاجة الاولى منها يدب ويدرج